

حسين مكماهون من أكثر المراسلات السياسية شهرة وإثارة للجدل في تاريخ العرب الحديث . فبالرغم من أن الحقائق الأساسية في هذه أصبحت معروفة لجميع المهتمين بالموضوع منذ سنة 1939 أقدمت الحكومة البريطانية على نشرها وعلى نشر تقرير اللجنة العربية البريطانية التي قامت بدراستها - على الرغم من كل ذلك فإن الوثائق والبيانات الجديدة التي كُشف النقاب عنها منذ ذلك الحين ، تلقي دون شك المزيد من الضوء على الظروف التي أحاطت بها وعلى - وهو الأهم - كيفية فهم المسؤولين البريطانيين في ذلك لمضمونها ، وفي هذا الإطار خصصنا هذه المراسلات .

— :

مسألة الحدود والخلافة العربية

1.

من المهم جدا أن نعرف ماذا كان يدور في ذهن الشريف حسين حين أرسل مذكرته الأولى في جويلية 1915 م إلى المندوب السامي في القاهرة .

في أحداث تلك الفترة لرأينا أن الجوع والفاقة في الحجاز ، لم يكونا رئيس فتح باب المراسلات مع بريطانيا .
ومنشورات الحكومة البريطانية الرسمية ، ورسائل علي الميرغني¹ الشريف حسين بأن الحجاز بعيد عن أخطار الحملات العسكرية من قبل الحلفاء ، وكذلك عن الوقوع تحت الاحتلال الأجنبي فيما لو لحقت الهزيمة بالأتراك وحلفائهم.

وفيما يتعلق بالصلاحيات الممارسة في حكم الحجاز ، نرى أن الشريف أصبح من الوالي التركي ، خاصة بعد نقل وهيب 1915 بك وتعيين الفريق غالب بك .

¹ علي الميرغني (1873 - 1968) زعيم ديني وسياسي . سليل الأسرة الميرغنية المعروفة في مصر و السودان و إرتريا والتي عرف عدد من أفرادها بدراسة العلوم الإسلامية وعنتبت بنشر الإسلام استقرت أسرته في . : خير الدين الزركلي ، مرجع سابق ، ص 381 .

روى محمد عريفان الذي حمل مذكرة الشريف الأولى إلى القاهرة أن الأمير عبد الله طلب منه أن يؤكد لستورز : ((¹

من هذا كله أن الشريف حسين لم يكن يحمل هم الحجاز وحده بل هموم الأقطار العربية كلها إلى الشرق من الحدود المصرية . ما جعل رأيه يستقر إلى جانب رأي أبنائه ورأي الزعماء القوميين العرب في الشام بريطانيا للحصول على الدعم الدولي والمعونة المادية التي لم يكن للعرب غنى عنها . وهنا قد يسأل سائل لماذا وقع الاختيار على بريطانيا تحديداً ؟

يرى كثير من المؤرخين والدارسين لتاريخ المنطقة ومنهم المؤرخ مصطفى طلاس ، أن هذا الاختيار كان طبيعياً لأن بريطانيا هي المنطقة ، فهي موجودة في مصر والسودان و عدن والخليج والبصرة ، وسمعتها عند العرب طيبة خلافاً لفرنسا ولروسيا التي عرفت بعدائها للإسلام ، وأن النصر سيكون من نصيب بريطانيا وحلفائها بالنظر إلى ضعف الدولة العثمانية ، إلى حملة الاعتقالات والإرهاب الذي قام به جمال باشا في سورية ، ما دعا بالشريف إلى غور بريطانيا ومعرفة نواياها الحقيقية نحو العرب معرفة الثقة والاستيقان² .

حيث سلمها الشريف بحضور أبنائه الأربعة إلى رجل يثق به كل الثقة وهو الشيخ محمد بن عريفان من قبيلة حرب³ . عريفان يملك بعض القوارب التي تنقل البضائع والحبوب بين السودان والحجاز على أسس تجارية . اختيار الشريف عليه لأن كثرة أسفاره مع قواربه تبعد الشبهة عنه . أما المذكرة فقد كانت بخط الأمير عبد الله ولا تحمل توقيعاً أو تاريخاً وإنما أرفقت برسالة شخصية من الأمير عبد الله إلى المستر رونالد ستورس ، وهي خرى لا تحمل توقيعاً ولكنها مؤرخة 14 جويلية 1915 .

يشترطها العرب لاشتراكهم في الأمر وتدخلهم ، حيث بدأت المذكرة بمقدمة تؤكد تصميم الأمة العربية على نيل استقلالها السياسي ، العرب أن المصالح بينهم وبين بريطانيا متبادلة ،

¹ الرسالة الشفوية لابن عريفا كما سجلها ستورز في مذكرته الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 1

18 1915 . :
1 اقي ، بيروت ، 1996

515.

137 .

203 .

³ سليمان موسى ،

المذكورة تعدد الشروط التي يتمسك بها الحسين لكي يستطيع أن يشترك ،
العربي ، في حلف مع بريطانيا العظمى لتحقيق تلك الغاية .
أن العرض الذي تضمنته سيظل قائما مدة ثلاثين يوما ، وطلبت أن يرسل رد
صريح بالقبول أو الرفض خلال تلك المدة¹ . وكانت الشروط التي عرضتها
واعترفتها أساسا للتحالف الذي يقبله العرب هي الشروط التي تضمنها
ميثاق دمشق ، المذكورة البند الاول من الميثاق بنصه الحرفي ، وهو البند
الخاص بحدود المنطقة العربية المست

أهمية الحذر والكتمان
ب المحدد الوحيد الذي
طلبه خاصا بهبة القمع التي كانت تقدمها مصر كل
التبرعات الخيرية لكي توزع على الفقراء في مكة والمدينة .
على وجوب إرسال تلك الهبات ونقلها بأية وسيلة مناسبة إلى الحجاز.

:

رأي الرسميين الانجليز في مصر عن فحوى مذكرة الشريف أنها
نقطتين أساسيتين :

الشريف عقد معاهدة مع بريطانيا العظمى .

الشريف نفسه ناطقا الامة العربية كلها ، في شبه الجزيرة وسورية
، أنه الخليفة والحاكم العتيد لإمبراطورية عربية² .

لم يحمل أولئك الرسميين مذكرة الشريف محمل الجدية الكافية ، يدل على هذا
الملحوظات التي كتبها رونالد ستورس تعليقا على المذكرة : ((إن ادعاءاته مبالغ بها
من جميع النواحي وتتجاوز دون شك نطاق أمله بقبولها إلى حد كبير ، ولكن يبدو
من الصعب التعامل معها تفصيلا دون تثبيط همته على نحو خطير))³ .

أبرق مكماهون في 22 1915 إلى وزارة الخارجية البريطانية
رسالة الشريف ، أن يرسل له جوابا يرحب فيه بما قاله الشريف من توافق
المصالح بين بريطانيا والعرب ويؤكد
ويقول له أن مسألة بحث الحدود سابقة لأوانها . ووافقت وزارة الخارجية على

¹ جورج أنطونيوس ، مصدر سابق ، ص 252 .

² Summary of Historical documents from the Outbreak of War between Great Britain
and Turkey , 1914 , arab bureau , cairo , p 15

³ ملحوظة ستورز على رسالة الشريف ا
: . 1915 22
. 522

مكماهون فبعث إلى الشريف برسائله الجوابية المؤرخة في 30
1915 .

استهل مكماهون رسالته بحشد مجموعة من الألقاب الطنانة وعبارات التمجيد والتبجيل واستهلك ذلك قرابة الخمسين كلمة¹.
الشكر على عواطف الشريف نخو بريطانيا وتأكيد أقوال اللورد كتشنر حول
رغبة بريطانيا في بلاد العرب وسكانها فة العربية
عند إعلانها . بعد هذا حاول مكماهون أن يدور حول النقطة الأساسية عدة دورات
دون أن يمسه مباشرة .
لأوانه,

ثم أشار مكماهون إلى أن بعض العرب ما يزالون يتعاونون
يعين الشريف المكان الذي يمكن تسليمها فيه

هذه الرسالة تدل على موقف بريطانيا حتى ذلك الحين ، وكان مكماهون يعتقد
أن الشريف لا يمثل سوى الحجاز ، ومن المحتمل أن يرضى بتأجيل مسألة الحدود
لذلك نراه يتفاجأ عندما تلقى رسالة الشريف الثانية المؤرخ 9
1915 .²

/ المذكرة الثانية

بادر الشريف إلى إرسال الرد بسرعة وهي أطول من الأولى³
لمسه في جواب مكماهون من (()) وهي مسألة
ثم عاد ليؤكد للحكومة البريطانية ((اعترافنا بأرجحيتها في عموم الكيفيات
((.

أدرك الشريف أن مكماهون لم يفتن⁴ إلى الأهمية التي يعطيها العرب لقضية
فأوضح له أنها لا تتعلق بشخص بعينه بل (()) الذين يرون أن
((حياتهم مربوطة)) وهم يعتقدون أن اتحاد مصالحهم جدير

¹ سليمان موسى ، مرجع سابق ، ص 207 .

² . 140

³ جورج أنطونيوس ، مصدر سابق ، ص 255 .

⁴ سليمان موسى ، مرجع سابق ، ص 208 .

أن يحفز بريطانيا على معاضدتهم في تأسيس حياتهم المق
يصطدموا مستقبلا بمعارضة بريطانية أو من أحد حلفائها .

الشريف في شأن أنها ليست الطعم الذي يبحث عنه هو وقومه
بقوله : ((والله يرحم الخلافة ويحسن عزاء المسلمين فيها)) . ثم أشار إلى ما قاله
مكماهون من أن بعض العرب يساندون الأتراك وقال إن هذا لا يبرر ((
ردد للذين لاحظهما في جوابه)) وأعلن أن جميع العرب حتى أولئك الذين
يقول مكماهون وضعوا أنفسهم تحت أوامر الأتراك والألمان - ينتظرون نتيجة هذه
وأوضح أخيرا الطريقة التي يمكن اتباعها لإرسال الحبوب
للأوقاف الإسلامية ، وأن ارسالها يكون برهانا على ما أعلنته الحكومة البريطانية
عداءها موجه لحكومة الاتحاد والترقي وليس إلى المسلمين .

بعث الشريف مع رسالته هذه بملحق قال فيه أن الأمير عبد الله ذهب إلى نج
02 ((لكي يقوم ببعض الإصلاحات المهمة ... وأنه من الطبيعي أن
البلاد عندما تعلن استقلالها سواء وافقتم على مطالبها أم لا ، فإنها سوف تخبرك
1)) .

:

أصبحت السبيل أمام مكماهون واضحة الآن غاية الوضوح ، وتبين له من أن
جوابه هذه المرة يكون إما الموافقة الصريحة وإما الرفض ، وفي هذه الاثناء كانت
للمعلومات التي ذكرها الفاروقي² أثر حاسم في موقف مكماهون ومستشاريه ، فقد
كان الفاروقي على معرفة وثيقة بجميعتي "العهد" "العربية الفتاة"
تنظيماتهما وأهدافهما ، وقد محصت أقواله بدقة وتبينت صحتها ، وذكر حقيقة
الشعور السائد بين القوميين العرب في الشام والعراق ، حتى إذا وردت بعد ذلك
يف الثانية كان مكماهون ومستشاريه عرفوا أمورا أتاحت لهم أن
يقرأوها بفهم أكمل من ذي قبل .

تعتبر مذكرة مكماهون التي أجاب بها الحسين أكثر أهمية من جميع المكاتب
24 لها أهم وثيقة دولية في تاريخ حركة القوميين العرب .

¹ ملحق رسالة الشريف ، مؤرخة في 9 1915 . :
531 .

² هو شاب عراقي مسلم اسمه محمد شريف الفاروقي ، كان ضابط في صفوف الجيش التركي أسر في الحرب
التي دارت في ميدان غاليبولي ، وكان قد تعمد اجتياز الخطوط البريطانية وسلم نفسه ذاكرا أن لديه معلومات
هاممة ، وطلب نقله إلى القاهرة ، ثم ظهر أنه عضو في جمعية العهد . : جورج أنطونيوس ،
258 .

1915 . وقد استهلها مكماهون أن أكد للشريف أن ما أبداه في الرسالة السابقة من عدم الرغبة في بحث قضية الحدود (()) ولكن مادام الشريف يعتبر هذه المسألة أساسية ، فإن الحكومة البريطانية قد فوضت مكماهون أن يقدم تعهدات معينة . وخلاصتها أن بريطانيا تقطع على نفسها عهدا بأن تعترف باستقلال العرب في المنطقة التي حددها الشريف ء معينة من آسيا الصغرى و الشا وأن تدعم هذا الاستقلال ، وقد نص على تحفظات خاصة ببعض المقاطعات في تلك المنطقة ، وهي المقاطعات التي كانت بريطانيا مرتبطة فيها بمعاهدات مع بعض

1

ذكرة أربعة موثيق أخرى تتناول المسائل غير مسألة الحدود وهي : تعهد بريطانيا حماية الأماكن المقدسة من أي اعتداء خارجي ، استعدادها مساعدة العرب في إقامة نظام حكم مناسب في المنطقة العربية ، أن يستعين العرب ببريطانيا وحدها للحصول على مستشارين وموظفين أجانب ، وأخيرا أن يكون لولايتي البصرة وبغداد نظام إداري خاص ، على أساس لم توضحه المذك لكي يكفل تحقيق التعاون الانجليزي العربي في ذلك الجزء من الدولة العربية

2

يذكر بعض المؤرخين ومن بينهم سليمان موسى الباحث في تاريخ المنطقة وتاريخ الحركة العربية أن رسالة مكماهون تتضح منها عدة مقاصد نوجزها في النقاط التالية :

"ولاية " لم ترد في رسالة مكماهون بمعنى المنطقة الإدارية التي كان العثمانيون يطلقونها على "ولايات " دولتهم ، بل وردت بمعنى "ناحية" "جهة" " ، فلم تكن في الدولة العثمانية ولاية "مرسين" " ولاية " "

وافق مكماهون على استقلال العرب ضمن الحدود التي طلبها الشريف مكة في مذكرته الأولى ، مع استثناء مناطق معينة بعينها .

¹ هذه التعهدات وما يرتبط معها من تحفظات جاءت كمايلي : ((إن ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لايمكن أن يقال أنها عربية وعليه يجب أن تستثنى من الحدود مع هذا التعديل ، وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين

. 530 528

: ((

. 260

² جورج أنطونيوس ،

استنتت بريطانيا مناطق في الجزء الشمالي الغربي من سورية بسبب مصالح
"حليفها فرنسا"¹

إن رسائل مكماهون كتبت في الأصل باللغة الإنجليزية ، ثم ترجمت إلى العربية
والنص الانجليزي الذي ترجمت عنه كلمة " ولاية " هو " district "
أن المعنى المقصود أصلا بهذه الكلمة لا ينصرف إلى التقسيمات الادارية².

ثانيا :

مناقشة حدود الدولة العربية والمصالح الفرنسية

1.

وصل جواب مكماهون إلى مكة بتاريخ 02 1915
الشريف 05 1915 تضمنت النقاط التالية :

((إدخال ولايات مرسين وأضنه في أقسام المملكة العربية)) .
((ولايتي حلب وبيروت وساحلها فهي ولايات عربية محضة)) .
الشريف فهم من تحفظات مكماهون أن مصالح فرنسا المشار إليها تنحصر في جبل
فقد مضى إلى القول أنه ((ق بين العربي المسيحي والمسلم فأتهما أبناء
)) .

الشريف على أن الولايات العراقية عربية خالصة العروبة ، ولكنه بناء على
ما أورد مكماهون من ضرورة حمايتها من الاعتداء الاجنبي قال أنه يمكن أن
يرضى بأن تبقى الجهات التي كانت القوات البريطانية تحتلها يوم (أي ولاية
البصرة بوجه التقريب) تحت الاحتلال البريطاني ((إلى مدة يسيرة)) .

وافق الشريف على أن يستعين العرب بالموظفين والمستشارين ا ليز ، ولكنه
أن لا يتدخل هؤلاء في الشؤون الداخلية .

إذا قبلت هذه الشروط فإن العرب سيلقون بثقلهم إلى جانب بريطانيا العظمى .

ن التأكيدات التي أعطاها مكماهون في رسالته المؤرخة 24
ولايتي البصرة وبغداد ، لم تجد قبولا لدى وزارة الهند . يظهر ذلك من خلال

¹ . 147

² . 125 124

² سليمان موسى ،

البرقية التي وجهها نائب ملك الهند إلى وزارة الهند التي نقلتها بدورها إلى وزارة الخارجية البريطانية ، 4 1915 والتي جاء فيها، ((

إيانا

العربية كما أف ، وخاصة بالنظر إلى حرية التصرف المتروكة لل
فيما يتعلق بمصالحها الخاصة في ولاية بغداد والمنطقة التي هي تحت
، تلك الحرية التي مورست دون لح الهندية
بإدخال ولايتي بغداد والبصرة ضمن الدول العربية المستقلة ، ولم يحتفظ لحكومة
جلالته أو حكومة الهند في هاتين الولايتين ، إلا بقدر خاص من الاشراف الإداري
((¹.

:

رسالة مكماهون 14 ديسمبر 1915 ، حصيلة
التي قدمها هو لوزارة الخارجية² ، راء التي بعث بها م
سايكس³ إلى وزارتي الحربية والخارجية ، وقد تبلورت كلها في برقية وزارة
خارجية المؤرخة في 10 ديسمبر 1915⁴.

أعرب مكماهون في مطلع رسالته عن ترحيبه بموافقة الشريف على إخراج ((
ولايتي مرسين وأضنه من حدود البلاد العربية)) ، وعن سروره لتأكيد الشريف
بأن الحكومة العربية العتيدة ستعمل بموجب التعاليم الاسلامية ((

¹ . 565

² تضمنت الآراء التي قدمها مكماهون الرسالة التي بعث بها إلى وزارة الخارجية اللندنية والمؤرخة في 30
1915 م والتي اقترح فيها : " أضنة ومرسين من الأراضي العربية - الترحيب
بالتأكيد على معاملة المسيحيين والمسلمين بالمساواة - الموافقة على أن ولايتي بيروت وحلب مأهولتان بالعرب
وبما أن لحلفائنا الفرنسيين مصالح عديدة فيهما فمن الضروري عمل ترتيبات لحماية تلك المصالح - فيما يتعلق
بولايتي بغداد والبصرة أن نوافق على إدارة الولايات التي يأخذها البريطانيون بالقوة من الأتراك ..."
على نص البرقية كاملا . : 627 626 .

³ السير ماركس سايكس: (1879 1919) عضو مجلس العموم البريطاني قام برحلات عديدة قبل الحرب
في مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية ، وكتب عدة كتب عنها ، عند بدء الحرب العالمية الأولى عين
بتوصية من كتشنر سكرتيرا مساعدا للجنة الدفاع الامبراطوري ، ثم مثل بريطانيا في المحادثات بينها وبين
انتهت بعقد اتفاقية سايكس بيكو ، وكان وراء انشاء المكتب العربي في القاهرة . : سليمان
. 231

⁴ البرقية من وزارة الخارجية اللندنية إلى السير هنري مكماهون بالقاهرة ، المؤرخة في 10 ديسمبر 1915
أضحت النقاط الهامة التالية : " أهمية إضهار موقف بريطانيا ... موقف الحكومة الفرنسية فيما يخص هو أيضا
على جانب من الصعوبة ، وأملنا ضئيل في الحصول على أي تأكيد منهم يرضي العرب حقا ...
المحاولات لاستمرار المفاوضات مع الشريف وخولته صلاحية الاجابة على ، القبول بالنقطتين الأولى والثانية
من برقيته ، أما الثالثة فنظرا لوجود مصالح لجهات أخرى فإن المسألة تحتاج إلى بحث ، أما النقطة الرابعة فإن
بريطانيا تعطي ضمان بمساعدة وحماية المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تستدعي بحثا أوفى
: ...
. 631 630

كل الاديان وامتيازاتها ((. شريف أن بريطانيا تعتبر موافقة العرب على المعاهدات التي عقدتها مع رؤساء العرب الاخرين))
جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية)) , لقصد من هذا التوضيح هو شية أن يدعي الشريف في المستقبل أنه لم يوافق على المعاهدات التي كان يعلم أن بريطانيا عقدتها مع بعض الزعماء في خليج البصرة . هذا مع العلم أن الشريف لم يكن يعلم شيئاً يومذاك عن اتفاق بريطانيا مع الادريسي أو عن زها الاتفاق مع

فيما يتعلق بالتحفظات الخاصة بولايتي حلب وبيروت , كماهون قدم إجابة قال أن الحكومة البريطانية دونت ما قاله الشريف عنهما بعناية , ولكنه مشيراً إلى أن ((مصالح حليفتها فرنسا)) في الولايتين تستوجب النظر الدقيق في المسألة . ومع ذلك فإنه وضع تلك المسألة على الرف عندما وعد أن يخبر الشريف بشأنهما ((.

أجل كماهون البت في أمر المصالح الفرنسية المدعاة في ساحل سورية , فإنه عمد كذلك تأجيل البت في أمر المصالح البريطانية المدعاة في ولاية مع عدم الإشارة إطلاقاً إلى ولاية البصرة , كأنه ما قاله الشريف بشأنه في رسالته الاخيرة كافياً . كماهون عباراته بعناية فائقة حتى لا ير شكوك الشريف , فقال أن بريطانيا))
ي في وسعها إلى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم)) . كماهون حجة للتأجيل بأن الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها المفاوضات)) .

مضى كماهون يطبق تعليمات وزارة الخارجية فوافق الشريف على رغبته في الحذر وعدم الاندفاع في إعلان الثورة قبل أن تنتهي الاسباب فية بنجاحها . ريف أن يبذل جهوده لدى زعماء العرب الاخرين كيلا يمدوا يد , وأن يعمل كل ما في وسعه لجمع ((كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة فإنه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها غرضنا عندما يجئ وقت ,
الاتفاق بيننا وثباته)) . والقصد من هذه العبارة واضح وهو إفهام الشريف ومن معه أن الاتفاق الحالي يقوم على مصالح متبادلة , وأنه إذا أراد العرب أن تفي بريطانيا بالتزاماتها فعليهم بدورهم أن ينفذوا قسطهم من المشاركة تنفيذاً عملياً

1 . يرا أبلغ مكماهون الشريف أن بريطانيا ((
إذا كان ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من سلطة الألمان
)).²

I.

في ظل هذه الظروف تلقى الشريف حسين رسالة من السيد علي الميرغني ،
الذي كانت رسائله تلعب دورا في تلطيف أجواء الاتفاق مع بريطانيا ، وتحريض
الشريف على الانتفاض ضد الأتراك³ . وصلت رسالة مكماهون ردا على برقيته
5 1915م ، وبتاريخ 01 1916
لمكماهون ، كانت كلماتها تدل على مدى التأثير الذي تركته عبارات الميرغني في
نفسه .

تسلم الشريف قبل كتابة الرد تقريرا طويلا من الفاروقي
أجراها مع مكماهون ومستشاريه في القاهرة ، ولذلك بدأ الحسين مذكرته
ارتياحه إليه من أن شهادة ذلك الضابط جاءت مؤيدة لكل ما كان ق

فسر الحسين موافقة مكماهون المبهمة - فيما يتصل بالنظام المقبل للإدارة في
- تفسيراً ينطوي على الثقة ، تلك الموافقة قبولا صريحا لمقترحاته
وصرح أنه مستعد لأن يترك تقدير التعويض ((بريطانيا
العظمى ونصفتها)) . ثم يعود إلى موضوع المناطق الساحلية من سورية الشمالية
ومن الواضح أنه هنا يجد نفسه في معضلة ، فهو حريص من جانب ،
ينتهي من مفاوضات لا تزال مستمرة في الواقع منذ شهر أكتوبر 1914
لكي يشرع في الأعد ، وهو من جانب آخر ليس مطلق الحرية في

العربية المستقلة⁴ . ولم يكن سبيله إلى الخروج من هذه
، وإنما في تأجيل الموضوع . فأخبر مكماهون أنه حريص
ما يعكر صفو العلا بين فرنسا وبريطانيا ، لذلك فإنه
سيطوي هذا الموضوع أثناء . ولكنه أبلغه في أوضح عبارة يفهمها

¹ . 154

² : 572 574 .

³ للاطلاع على فحوى رسالة الميرغني المؤرخة في 17 1917 . :

. 607 605

⁴ جورج أنطونيوس ، . 264

أو لغيرها من الدول الكبرى عن أي ((الجهات)) هو أمر مرفوض ولا يقبل المناقشة , وأنه سيغتنم الحرب أوزارها ليحقق مطلب العرب في بلاد الشام جميعها .

يطلب الشريف جوابا عن أية نقطة من النقاط التي أوردتها ولكنه كان يكتب كأنه يعتبر الصفقة قد عقدت ويختم المذكرة بتكرار عزمه على إعلان الثورة¹ , وبأنه سيبلغ مكماهون في الوقت المناسب يحتاج إليه من . ولما كان قد ضمن من مكماهون تعهدات إيجابية عن المسألة الأساسية الخاصة بالمنطقة العربية المستقلة فقد مال إلى ترك التحديدات الثانوية إلى أن يحين وقتها , وقد بلغ إيمانه بقوة حق العرب في بلاد الشام كلها وثقته في روح الانصاف الذي ستعالج به بريطانيا العظمى هذا الموضوع مبلغا جعله يترك , وهو مطمئن , المناطق الساحلية ومسألة التدابير التي ستتخذ لنظام الإدارة في العراق ويؤجل تسويتها إلى المستقبل .

مكماهون رسالة الشريف مرضية على الرغم من قوله أن الشريف (مسألة التعويض المالي عن بريطانيا لولاية البصرة ف .) ومع أن مكماهون الجماعة العربية² كانت دائما تصر على صدور تأكيد من بريطانيا العظمى بأن . ثم إشارة إلى شروط الشريف المتعلقة بفرنسا أن العرب ينظرون بنفور عميق إلى قيام إدارة فرنسية في أي جزء من الأراضي العربية.

يجدر هنا أيضا أن نلاحظ أن تعليقات مكماهون على رسالة الشريف على مستقبل العلاقات بين بريطانيا والعرب فيما يتعلق بالعراق , العلاقات بين العرب وفرنسا فيما يتعلق بشمال سوريا³ .

1 . 157

² ورد هذا التعبير عدة مرات في مخابرات الانجليز The arab party والمقصود أعضاء الأحزاب العربية الذين كان يمثلهم في مصر عزيز علي والفاروي وإلى حد ما أعضاء حزب اللامركزية . : سليمان موسى . 250

3 . 158

أكد مكماهون ، في الرسالة الجوابية المؤرخة في 25 1916 للشريف أنه لا يشك ((في أنكم تعلمون لما فيه مصلحة الأمة العربية وأن ليس لكم غاية)) . ثم أبلغ الشريف أنه أخذ علما بما جاء في رسالته بشأن ولاية بغداد (موضوع ولاية البصرة منتهيا)¹ وأن بريطانيا ستنتظر في هذه ((بتمام الاهتمام)) عندما تنتهي الحرب .

((الاقسام الشمالية)) فلم يقل مكماهون شيئا ذا بال الشريف يرغب في تجنب المساس بالتحالف بين بريطانيا وفرنسا² . قال أن صداقة بريطانيا وفرنسا ستزاد متانة بعد نيل النصر . أي أنه أراد أن يقول للشريف بصورة غير مباشرة أنه لا مجال للاعتقاد بأن بريطانيا يمكن أن تصطدم بفرنسا من أجل المحافظة على المصالح العربية هذا على الرغم من أن الشريف أراد أن يقول أن العرب يريدون التعاون مع بريطانيا وحدها مشورتها وخدمات رجاله ومنحها وحدها جميع الامتيازات التي لا غنى للد العربية الناشئة عن منحها لإحدى الدول تقنيا وحضاريا , وأنه ليس من مصلحة العرب ولا من مصلحة بريطانيا وجود دولة ثالثة بينهما مما سيكون

وهكذا نرى مكماهون يؤجل البت في موضوع العراق ومستقبل الشقة الساحلية من سورية الشمالية , ويطمئن الشريف . وقد رحب مكماهون في رسالته بمساعي الشريف العربية ومنعها من تقديم المساعدات , وترك له حرية موعد قيام الثورة .

¹ . 251

² . 265

¹ سليمان موسى ،

² جورج أنطونيوس ،

في رسالة الشريف 18 فيفري 1916

والشقة الساحلية من سورية وأجل البت في أمرها , مثله في ذلك مثل مكماهون .
ومن المؤكد أن الشريف اعتقد أن بريطانيا قد قبلت بوجهة نظره ,
بما لا يدع مجالاً للشك تمسكه بمبدأ قيام دولة عربية متحدة حالما
أوزارها . ومن المرجح أنه حسب أن القوات العسكرية البريطانية والفرنسية
في ميدان العراق وسورية .
فليس من المعقول أن يشترط قيام العرب بإدارة المناطق التي تجري فيها المعارك
بين الجيوش المتحاربة , وهذا هو التفسير الطبيعي لموافقه على أن تتولى بريطانيا
إدارة البصرة ونواحيها ! , وقوله أنه يغض الطرف مؤقتاً عن وجود

1 .

اعتبر الشريف جواب مكماهون مرضياً وأعرب عن ((مزيد الارتياح والسرور
لحصول التفاهم المطلوب والتقارب المرغوب))² . وبهذه العبارة أختتم الشريف
المباحثات السياسية , وتحول في رسالته إلى بحث المسائل الأخرى التي

3 .

جاء في رسالة الشريف يعطينا فكرة عن مساعيه
سورية وا , فهو يقول أن الاجراءات التعسفية للأ
تفريق الضباط والجنود العرب الذين كان فيصل يعمد عليهم يصل ينتظر
جديدة إلى سورية حتى إذا كانت كثرتها من العرب
ثورية بواسطتهم , وقال أن نجله الأكبر علي سيقوم بالحركة في المدينة
المنورة متعاوناً مع فيصل ومن جملة مهامه الاستيلاء على خط سكة الحديد ,
طلب تزويده بـ وإعداد كميات من

1 . 159

2 . Alain Renon, Geopolitique de la Jordanie, Ed Complexes, Bruxelles, 1996, p11.

3 . جورج أنطونيوس , 266

خر الرسائل السياسية التي بعث بها مكماهون إلى الشريف الثورة وهي الرسالة المؤرخة في 10 1916 فقد أعرب مكماهون سروره للتدابير الفعلية التي يتخذها الشريف للقيام بالثورة ، وأبلغ الشريف أن لتحضير ما طلبه من المؤن والسلاح¹ في بور سودان كي يتم إرسالها إ ن السفن الحربية البريطانية ستضرب بعض المراكز التركية على الشد ، وطلب من الشريف أن يبلغه أية معلومات لديه عما يشاع من بث الالغام في البحر ، كما طلب إليه أن يعرقل نشاط الرشيد في إرسال الجمال إلى سورية كيلا يستفيد منها الاتراك في الهجوم على القوات البريطانية في مصر .

أبلغ مكماهون الشريف نبأ الهزيمة التي لحقت بالسنوسي في الواحات الغربية² ، في أيدي الروس سيكون في))³ وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له وإياكم)) . وقد وردت في هذه الرسالة عبارة دار حولها جدل عنيف فيما بعد بين الشريف والسياسيين الانجليز ، جاء فيها قول مكماهون ((وقد يسرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم)) ، فقد أصر الشريف أن هذه العبارة تعني أن بريطانيا وافقت على قبول جميع مطالبه بشأن إنشاء الدولة العربية المتحدة ضمن لها ، بينما أصر السياسيون الانجليز أن هذه العبارة لم يقصد بها إلا والمؤن التي وردت في رسالة الشريف السابقة .
الواضح أن الشريف أساء فهم المقصود من العبارة التي لم يقصد مكماهون بها أي معنى سياسي⁴ .

¹ جورج أنطونيوس ، 266 .

² أحمد الشريف السنوسي : (1873 1933) مجاهد وزعيم وطني ليبي السنوسية. قاد الجهاد في شرق ليبيا ضد الغزو الإيطالي للبلاد في بدايات القرن العشرين. وهو أحد كبار المجاهدين الليبيين، جاهد ك وقاد معارك الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين في وساهم في نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي في أرجاء من إفريقيا وهو صاحب كتاب (الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب إلى التاج) الذي دون فيه الرحلات الدعوية التي رافق فيها عمه محمد المهدي السنوسي . : خير الدين الزركلي ، مرجع سابق ، ص 135 .

³ : " (بالتركية: Erzurum Taarruzu) هي عاصمة محافظة أرزروم وتقع في شمال شرق تركيا. كانت مقر قيادة الجيش الثالث العثماني الجيش الإمبراطوري الروسي 10 يناير 1916 هجوما ضدها و حقق الروس انتصارا كبيرا توج باستيلائهم على المدينة انسحاب القوات العثمانية إلى عمق الأراضي التركية. : 38 .

⁴ سليمان موسى ، 253 .

الرسائل العشر التي تبادلها الشريف حسين والسير هنري مكماهون عرضنا لها سابقا , تؤلف ما أصبح يعرف منذ ذلك الحين ((الحسين – مكماهون)) , انتهاء الحرب نشرت الصحف في بريطانيا وفرنسا وبلاد العرب بعضها منها وسمح الملك حسين قبيل وفاته سنة 1931 أنطونيوس بنسخها فنشرها في كتابة ((يقظة العرب))¹ ولكن الحكومة البريطانية لم تنشرها رسميا إلا في شهر 1939 مؤتمر فلسطين في لندن , لحاح من قبل أعضاء الوفود العربية التي

كانت الحكومات البريطانية المتعاقبة رها يخالف المصلحة العامة² . ولما كانت المراسلات قد جرى تبادلها باللغة العربية , بإعادة مقارنة النص الانكليزي العربية التي قدمت لهم بعد أن لمسوا نقصا في بعض عباراتها , الحكومة البريطانية للطلب وتم الاتفاق بين أعضاء عرب وبريطانيين على التعديلات التي تمثل معنى النص العربي أقرب تمثيل , وتضمن الكتيب الرسمي الذي على المراسلات إشارات إلى التعديلات التي أجريت بعد المقارنة .

قدمت الحكومة البريطانية النصوص العربية الاصلية لسبع من المراسل أنها لم تعثر على النص العربي للثلاث الاخرى الوفود العربية قد بأن بريطانيا العظمى تعهدت في هذه المراسلات بأن تكون فلسطين ضمن نطاق البلاد العربية المستقلة , فقد عين المؤتمر لجنة عربية – بريطانية لدراسة المراسلات وتقديم تقرير عنها , البريطاني : اللورد موم قاضي القضاة والسير السكرتير في وزارة الخارجية , بينما : نوري السعيد رئيس وزراء العراق حينذاك وتوفيق السويدي (الذي تولى رئاسة الوفد العراقي بعد مغادرة نوري السعيد مدينة) وعبد الرحمان عزام وعوني عبد الهادي وموسى العلمي وجورج أنطونيوس (الامين العام للوفد العربية) . (ما بين 22 فيفري – 16) . بحث أعضاء اللجنة هذه المراسلات . وقد حرص اللورد موم في بداية

¹ يقول جورج أنطونيوس : " ... الحقيقة الواقعة فهي أن مواد مراسلات مكماهون معروفة في جميع أرجاء . وكان الشريف حسين نفسه ينشر رسميا في مكة من حين لآخر أجزاء منها , كما نشرت عدة مذكرات منها بنصها الحرفي الكامل في الكتب والصحف العربية . مفتوح أمام أي إنسان يعرف اللغة العربية يستطيع الوصول إلى ملفات الصحف العربية التي توقفت عن الصدور , لكي يستخرج جميع مذكرات مكماهون ويجمعها , وهذا ما فعلته خلال أربع سنوات قضيتها في الرحلة والبحث , منتقلا بين القاهرة وبغداد " : جورج أنطونيوس . 271 .

² جورج أنطونيوس , المصدر السابق . 272 .

اللجنة أن يوضح أنه لا يحضر اللجنة بصفته القضائية ولا يدعى حق
((هل آ))
يطانية في الموضوع المطروح ،
(هي الصحيحة)) ، نه يحضر كممثل للحكومة البريطانية ومهمته
الوحيدة شرح آراء وبيان حججها لا غير¹ .

نخلص في الأخير أن أهمية هذه
تتعدى حدود الجدل التاريخي .
الاحداث البالغة الخطورة التي وقعت في فلسطين لما أشغل السياسيون
أذهانهم بتفسير عبارات مكماهون والاختلاف في صحة هذا التفسير أو ذاك .
تتها منذ انتهاء الحرب العالمية
(تذكرهم دائما وأبدا ببداية المشكلة سممت حياتهم .
بداية المشكلة برز إلى خواطرهم السير هنري مكماهون اللسان الناطق
الحكومة البريطانية في المفاوضات التي دارت مع الشريف حسين .

بعد هذه الاعوام الطوال يجد الكثير من المؤرخين والمتتبعين للأحداث التي
صعوبة كبيرة في أن يفهم كيف أن السير هنري مكماهون لم يكن
مدركا بأن تحفظاته كانت تقتصر فقط على الشقة الشمالية من الساحل السوري ،
إلى الرسائل والبرقيات التي تبادلها مع وزارة الخارجية
البريطانية والتي تكررت فيها الإشارة إلى ((الحدود الشمالية - الغربية))
الشواطئ الشمالية لسورية)) . ويكاد يكون من المستحيل أن تجد بأن بريطانيا
- بلسان مكماهون - لم تتعهد بأن تكون فلسطين ضم
(وأنها حافظت على عهدتها ولم تقلب ظهرها لأصدقائها العرب الذين
وضعوا ثقتهم فيها .

